

شرح كتاب (عقيدة السلف وأصحاب الحديث) لأبي عثمان الصابوني - رحمه الله.

شرح فضيلة الشيخ

أ. د. أحمد بن عبدالرحمن القاضي

بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس (٢٣)

نتعلم في هذا الدرس:

١. علامات أهل البدع.

٢. من علامات أهل السنة.

٣. خاتمة.

[علامات أهل البدع]

ثم قال أبو عثمان:

(سمعت الأستاذ أبا منصور محمد بن عبد الله حمشان العالم الزاهد يقول: سمعت أبا القاسم جعفر بن أحمد المقرئ الرازي يقول: قرأ علي عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي وأنا أسمع: سمعت أبي — عني به الإمام في بلده أباه أبا حاتم محمد بن إدريس الحنظلي — يقول: علامة أهل البدع الوقعة في أهل الأثر).

أهل الأثر المراد بهم: أهل الحديث، يعني الذين يأخذون عقيدتهم من المأثور عن الله جل شأنه، كما قال السفاريني.

(وعلامة الزنادقة تسميتهم أهل الأثر حشويه، يريدون بذلك إبطال الآثار، وعلامة القدرية تسميتهم أهل السنة مجبرة، وعلامة الجهمية تسميتهم أهل السنة مشبهة، وعلامة الرافضة تسميتهم أهل الأثر نابتة وناصبة، قلت: وكل ذلك عصبية، ولا يلحق أهل السنة إلا اسم واحد وهو أصحاب الحديث).

انتهى كلام أبو حاتم رحمه الله.

فتلاحظون أن كل فرقة من فرق الضلال رمت أهل السنة بمقالة ضدها، فالقدرية قالت عن أهل السنة مجبرة، والجبرية قالت قدرية، لأن أهل السنة وسط بين فريقين ضلالة في باب أفعال الله، بين القدرية الذين غلوا في إثبات أفعال العباد، وبين الجبرية الذين غلوا في إثبات أفعال الرب، وأهل السنة والجماعة وسط بين الفريقين، فصار كل فريق ضلالة يبنذ أهل السنة ويرميهم بالبدعة المقابلة، والحق دائما وسط بين الطرفين، وكذلك في باب صفات الله عز وجل، الجهمية النفاة يصفون أهل السنة بأنهم مشبهة، والمشبهة الحقيقيون يلقبون أهل السنة بأنهم نفاة، كل يرمي أهل السنة بعلة الطرف المقابل.

الرافضة تسمي أهل السنة نابتة أو نواصب، أرادوا بقولهم نابتة الاحتكار، النابت كما جاء في ((لسان العرب)) النابت من كل شيء الطري، حيث ينبت صغيرا، والنوابت من الأحداث؛ الأعمار، يعني يريدون بذلك الحط منهم، ويقولون هم نابتة، نوابت، ويصفونهم أيضا بأنهم ناصبة، زعمًا منهم قبهم الله؛ أن أهل السنة يناصبون أهل البيت العدا، والحقيقة أن النواصب فعلا هم الخوارج، هم الذين ناصبوا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله وأهل البيت العدا، فهم النواصب حقيقة، وأهل السنة والجماعة مبرؤون من آفة الفريقين.

قال أبو عثمان:

(قلت أنا رأيت أهل البدع في هذه الأسماء التي لقبوا بها أهل السنة سلكوا معهم مسلك المشركين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإنهم اقتسموا القول فيه، فسماه بعضهم ساحرًا وبعضهم كاهنًا، وبعضهم شاعرًا، وبعضهم مجنونًا، وبعضهم مفتونًا، وبعضهم مفتريا مختلقا كذابا، وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم من تلك المعائب بعيدًا بريئًا، ولم يكن إلا رسولًا مصطفى نبيًا، قال الله عز وجل: {انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا} كذلك المبتدعة خذلهم الله اقتسموا القول في حملة أخباره، ونقله آثاره ورواة أحاديثه المقتدين بسنته، فسماهم بعضها حشوية، وبعضهم مشبهة، وبعضهم نابتة، وبعضهم ناصبة، وبعضهم جبرية).

لا عجب إذا كان أنبياء الله يوصمون بالسوء، فمن سار على طريقة الأنبياء ينالوه ما نالهم {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًّا وَنَصِيرًا}، {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا

لِيَمَكُرُوا فِيهَا}، فلا يزال يصل إلى أهل الحق وأهل السنة من هؤلاء الأعداء الأذى القولي والفعلي، فلا عجب أن يصفوا أهل السنة بألقاب السوء، الذين هم منها براء، ثم قال الشيخ معقَّباً:

(وأصحاب الحديث عصامة من هذه المعايب برية نقية زكية تقية، وليسوا إلا أهل السنة المضية والسيرورة المرضية والسبل السوية والحجج البالغة القوية، قد وفقهم الله جل جلاله لاتباع كتابه وروحيه وخطابه، والاقتراء برسوله صلى الله عليه وسلم في أخباره التي أمر فيها أمته بالمعروف من القول والعمل، وزجرهم فيها عن المنكر منها، وأعانهم على التمسك بسيرته والاهتداء بملازمة سنته، وشرح صدورهم لخبته، ومحبة أئمة شريعته، وعلماء أمته).

ما أجمل هذا الكلام من إمام ناصح، عارف، قائم بدين الله، وبالنصح لعباد الله عز وجل، فأصحاب الحديث عصامة من هذه المعائب، والعصامة: كل حبل يعصم به شيء، فالله عز وجل قد عصمهم من هذه المعايب، وهم براء مما وصمهم به خصومهم، بل هم والله الحمد المتمسكون بدين الله الحافظون لحدود الله.

قال الشيخ:

(ومن أحب قوما فهو منهم يوم القيامة بحكم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((المرء مع من أحب))) (وهو قطعة من حديث أخرجه الشيخان، وغيرهما، من حديث عبد الله به مسعود.

من علامات أهل السنة

ثم قال الشيخ:

(وإحدى علامات أهل السنة حبهم لأئمة السنة وعلمائها وأنصارها وأوليائها، وبغضهم لأئمة البدع الذين يدعون إلى النار ويدلون أصحابهم على دار البوار).

كما بين الشيخ علامة أهل البدع، وهي بغضهم لأهل الحديث ونقله الأخبار، بين علامة أهل السنة وهي حبهم لأهل الحديث، وبغضهم لأهل البدع.

(وقد زين الله سبحانه قلوب أهل السنة ونورها بحب علماء السنة فضلاً منه جل جلاله ومنة. أخبرنا الحاكم أبو عبد الله الحافظ أسكنه الله وإيانا الجنة، قال: حدثنا محمد بن إبراهيم بن الفضل المزكي قال: حدثنا أحمد

بن سلمة، قرأ علينا أبو رجاء قتيبة بن سعيد كتاب الإيمان له، فكان في آخره: فإذا رأيت الرجل يحب سفيان الثوري، ومالك بن أنس، والأوزاعي، وشعبة، وابن المبارك، وأبا الأحوص، وشريك، ووكيع، ويحيى بن سعيد، وعبد الرحمن بن مهدي، فاعلم أنه صاحب سنة.

قال أحمد بن سلمة رحمه الله، فألحقت بخطي تحته، ويحيى بن يحيى، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، فلما انتهى إلى هذا الموضع، نظر إلينا أهل نيسابور، وقال: هؤلاء القوم يتعصبون ليحيى بن يحيى، فقلنا له: يا أبا رجاء! ما يحيى بن يحيى؟ قال: رجل صالح إمام المسلمين، وإسحاق بن إبراهيم إمام، وأحمد بن حنبل أكبر ممن سميتهم كلهم.

وأنا ألحقت بهؤلاء الذين ذكرهم قتيبة رحمه الله أن من أحبهم فهو صاحب سنة، من أئمة أهل الحديث الذين بهم يقتدون وبهداهم يهتدون ومن جملتهم ومتبعيهم وشيعتهم أنفسهم يعدون. وفي اتباعهم آثارهم يجدون جماعة آخرين).

أي أن المؤلف رحمه الله، أبو عثمان كما صنع من سبقه وألحق بعض الأسماء، قام هو أيضا وألحق أسماء أخرى، قال:

(منهم محمد بن إدريس الشافعي المطلي الإمام المقدم والسيد المعظم، العظيم المنة على أهل الإسلام والسنة، الموفق الملحق الملهم المسدد، الذي عمل في دين الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم من النصر لهما والذب عنهما، ما لم يعمله أحد من علماء عصره ومن بعدهم ومنهم الذين كانوا قبل الشافعي رحمه الله، كسعيد بن جبير والزهري والشعبي والتميمي ومن بعدهم، كالليث بن سعد والأوزاعي والثوري وسفيان بن عيينة الهلالي وحامد بن سلمة وحامد بن زيد ويونس بن عبيد وأيوب وابن عوف ونظرانهم ومن بعدهم مثل يزيد بن هارون وعبد الرزاق وجريير بن عبد الحميد، ومن بعدهم مثل محمد بن يحيى الذهلي ومحمد بن إسماعيل البخاري ومسلم بن الحجاج القشيري وأبي داود السجستاني وأبي زرعة الرازي وأبي حاتم وابنه ومحمد بن مسلم بن واره ومحمد بن أسلم الطوسي وعثمان بن سعيد الدارمي ومحمد بن إسحاق بن خزيمة الذي كان يدعى إمام الأئمة، ولعمري كان إمام الأئمة في عصره ووقته. وأبي يعقوب إسحاق بن إسماعيل البستي وجدني - من قبل أبوي - أبي سعيد يحيى بن منصور الزاهد الهروي وعدي بن حمدويه الصابوني، وولديه

سيفي السنة أبي عبد الله الصابوني وأبي عبد الرحمن الصابوني، وغيرهم من أئمة السنة الذين كانوا متمسكين بها ناصرين لها داعين إليها دالين عليها).

هؤلاء الأفاضل الأماجد هم كالأعلام وهم أهل السنة الحقة الذين ينبغي الاقتداء بهم، بعد الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم، فإنهم حملة الدين، وحفظته، وهم معلموا الأمة الخير، فهؤلاء المذكورين وغيرهم ممن لم يذكر الشيخ رحمه الله، وغيرهم ممن جاء بعد الشيخ أبي عثمان رحمه الله، هم الذين عليهم مدار رحى العلم والفتي والله الحمد، فظلت آثارهم محفوظة.

خاتمة

قال رحمه الله:

(وهذه الجمل التي أثبتها في هذا الجزء) يعني العقائد التي ذكرها الشيخ رحمه الله، من أول الرسالة إلى هذا القدر.

(كانت معتقد جميعهم، لم يخالف فيها بعضهم، بل أجمعوا عليها كلها، واتفقوا مع ذلك على القول بقهر أهل البدع، وإذلالهم وإخزائهم وإبعادهم وإقصائهم، والتباعد منهم، ومن مصابحتهم ومعاشرتهم، والتقرب إلى الله عز وجل بمجانبتهم ومهاجرتهم، قال الأستاذ الإمام رحمه الله). المقصود به أبو عثمان، فهذه الجملة مما أثبته النساخ.

(وأنا بفضل الله عز وجل متبع لآثارهم، مستضيء بأنوارهم، ناصح إخواني وأصحابي أن لا يزيغوا عن منارهم، ولا يتبعوا غير أقوالهم، ولا يشتغلوا بهذه المحدثات من البدع، التي اشتهرت فيما بين المسلمين، وظهرت وانتشرت، ولو جرت واحدة منها على لسان واحد في عصر أولئك الأئمة لهجروه وبدعوه، ولكذبوه وأصابوه بكل سوء ومكروه، ولا يغرن إخواني - حفظهم الله - كثرة أهل البدع ووفور عددهم، فإن ذلك من أمارات اقتراب الساعة، إذ الرسول المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم قال: ((إن من علامات الساعة واقترابها أن يقل العلم ويكثر الجهل)) (هذا الحديث رواه البخاري ومسلم وغيرهما).

(والعلم هو السنة والجهل هو البدعة، ومن تمسك اليوم بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمل بها واستقام عليها ودعا بالسنة إليها، كان أجره أوفر وأكثر من أجر من جرى على هذا الجملة في أوائل الإسلام والملة، إذ الرسول المصطفى صلى الله عليه وسلم قال: ((له أجر خمسين))، فقيل: خمسين منهم؟ قال: ((بل منكم)) .

فقد ورد في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((... فإن من ورائكم أيام الصبر القابض فيها على دينه كالقابض على الجمر، أجر العامل منهم كأجر خمسين))، قالوا يا رسول الله، خمسين منا أو منهم، قال: ((خمسين منكم)).

ولكن هذا لا يدل على الفضل المطلق، وإنما فقط على أجر العمل، فإن الصحابة رضوان الله عليهم يفوقون جميع قرون الأمة بمزية لا يشركهم فيها أحد، وهي مزية الصحبة.

(وإنما قال صلى الله عليه وسلم ذلك لمن يعمل بسنته عند فساد أمته. وجدت في كتاب الشيخ الإمام جدي أبي عبد الله محمد بن عدي بن حمدويه الصابوني رحمه الله، قال: أخبرنا أبو العباس الحسن بن سفيان النسوي أن العباس بن صبيح حدثهم قال: حدثنا عبد الجبار بن مظاهر قال: حدثني معمر بن راشد قال: سمعت ابن شهاب الزهري يقول: تعليم سنة أفضل من عبادة مائتي سنة.

أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن زكريا الشيباني قال: أنبأنا أبو العباس محمد بن عبد الرحمن الدغولي قال: سمعت محمد بن حاتم المظفري يقول: سمعت عمرو بن محمد يقول: كان أبو معاوية الضير يحدث هارون الرشيد، فحدثه بحديث أبي هريرة رضي الله عنه: احتج آدم وموسى).
والحديث كما هو معلوم في ((الصحيحين)).

(فقال عيسى بن جعفر)، وعيسى بن جعفر هذا ابن عم هارون الرشيد، وأخو زبيدة زوجته.
(كيف هذا وبين آدم وموسى ما بينهما؟! انظروا كيف قابل الحديث بالرأي والعقل، النبي صلى الله عليه وسلم يقول صراحة: ((احتج آدم وموسى)) أي جرت بينهما محاجة، بالصفة التي يعلمها الله عز وجل، فقابل هذا الحديث برأيه وعقله، واستشكله وقال كيف هذا؟ وبين آدم وموسى ما بينهما.

قال: فوثب به هارون وقال: يحدثك عن الرسول صلى الله عليه وسلم وتعارضه بكيف؟! قال: فما زال يقول حتى سكن عنه) رحمه الله رحمة واسعة، يغضب الله غضب شديداً، أن يتجرأ أحد على رد حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، بالعقل ويقابله بالقياس.

قال أبو عثمان هكذا ينبغي للمرء أن يعظم أخبار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويقابلها بالقبول والتسليم والتصديق، وينكر أشد الإنكار على من يسلك فيها غير هذا الطريق الذي سلكه هارون الرشيد رحمه الله مع من اعترض على الخبر الصحيح الذي سمعه بكيف؟! على طريق الإنكار له والاستبعاد له، ولم يتلقه بالقبول كما يجب أن يتلقى جميع ما يرد من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

جعلنا الله سبحانه من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، ويتمسكون في دنياهم مدة محياهم بالكتاب والسنة، وجنبنا الأهواء المضلة، والآراء المضمحلة، والأسواء المذلة فضلاً منه ومنه، آخره، الحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

قد تمت الكتابة في شهر رجب السابع عشر من - هذا من كلام بعض النساخ - سنة ألف ومئتين وسبع وتسعين) فرحم الله أبا عثمان الصابوني رحمة واسعة، ووالله لقد اجتهد، ونصح في هذه الرسالة غاية النصيحة والاجهد، فإن قارئ هذه الرسالة يجد من نفسه رحمه الله شدة تعظيم نصوص الوحيين، وشدة نصحه لأمة محمد صلى الله عليه وسلم، وقيامه بأمر الله، وشدة بغضه وعدائه لأهل البدع.

فالواجب علينا أن نقفوا أثر السلف الصالح بالتمسك بهذه العقيدة النيرة المتينة، وأن نقررها في كل مجلس، وأن نعلمها عباد الله، وأن ندعوا إليها في كل مناسبة.

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ونبيه محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.